سلسلة ترجمات الزيتونة (22)
كانون الثاني/ يناير 2007

أمريكا.. دولة الله

U.S. God's Country

الكاتب: وولتر راسل ميد

مجلة فورين أفيرز Foreign Affairs
عدد أيلول/ سبتمبر – تشرين الأول/ أكتوبر 2006

ترجمة دراسة: أمريكا... دولة الله

العنوان الأصلي: U.S. God's Country

الكاتب: وولتر راسيل ميد

المصدر: مجلة فورين أفيرز Foreign Affairs عدد أيلول/ سبتمبر – تشرين الأول/ أكتوبر 2006

لطالما كان للدين دور أساسي ومؤثر في توجيه السياسة الأمريكية، ولكن ارتفاع عدد الكنائس الإنجيلية مؤخراً وازدياد قوتها ونفوذها كان له الأثر المباشر على المشهد السياسي في الولايات المتحدة، وعلى الأخص وبشكل دراماتيكي على السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وليس هناك داعٍ للذعر أو للقلق من هذا الواقع، كون الإنجيليين مرتبطين بشغف بمبادئ العدالة، وبالرغبة في تحسين الواقع العالمي المتردي ويطمحون لتحقيق هذه الرغبة من خلال اتّباع سياسة حساسة ودقيقة للغاية.

الإنجيليون والسياسة الخارجية

يلعب العامل الديني دور القوة الرئيسية في السياسة الأمريكية، وكذلك في تحديد الهوية، والثقافة، والتوجه السياسي، فقد أسهم العامل الديني في تشكيل شخصية الأمة الأمريكية، وساعد في تكوين الأفكار الأمريكية عن العالم الخارجي وكيفية النظر إليه، وأثر في طريقة تعاطي ورد فعل الأمريكيين على الأحداث التي تقع خارج حدود الولايات المتحدة. هذا التوجه الديني يشير إلى أمرين: شعور الأمريكيين بأنهم شعب مختار، والأيمان بأن عليهم واجب نشر معتقدهم وقيمهم في العالم أجمع. بالطبع، ليس كل الأمريكيين يؤمنون بهذا الواجب، وحتى الذين يؤمنون به، غالباً ما يختلفون بشدة حول معنى ودقة القصد من هذا الفهم. ولكن لا بد من الاعتراف بأن عدداً معتبراً من الأمريكيين يؤمن به، مما يجعل هذه الأفكار والمعتقدات عاملاً مؤثراً في سلوك وممارسة الدولة في داخل البلاد كما في خارجها.

من خلال نظرة فاحصة، يتبين لنا أن العامل الديني مهم جداً في الحياة الأمريكية رغم يكاد يكون غير مرئي في ذلك المزيج التي تتشكل منه الولايات المتحدة. فمعظم الناس، على اختلاف توجهاتهم، يرجعون دائماً إلى المبادئ الدينية للإجابة على الأسئلة الهامة التي تواجههم، ومن أجل دعم وجهات نظرهم، والبلاد تملك من التنوع الديني ما يساعد على دعم أي تصور يتعلق بالسياسة الخارجية من الممكن أن يطرأ، من الناحية الدينية.

لكن ميزان القوى بين مختلف التوجهات والأجنحة الدينية يتغير مع الوقت، ولقد شهد ميزان القوى هذا تحولاً حاسماً ومهماً في الجيل الأخير مما أدى إلى تحولات ونتائج دراماتيكية. فكلما ازداد أتباع التيارات الدينية المحافظة بين الأمريكيين ازدادوا قوة وتأثيراً، في حين تشهد البلاد تراجع التي كانت تتمتع بها

التيارات البروتستانتية الليبرالية منذ أواسط القرن العشرين، مما أثر على بشكل كبير على سياسات الولايات المتحدة الخارجية.

إن هذه المتغيرات لم تأخذ بعد نصيبها الوافر من الفهم الشامل، ويعود هذا الأمر في جزء منه إلى أن معظم دارسي السياسة الخارجية في الولايات المتحدة وخارجها غير مطلعين نسبياً على التيارات البروتستانتية المحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة وأن وجهات النظر التي يتبناها المبشر الإنجيلي بيللي غراهام Billy Graham تدعو إلى تبني سياسات مختلفة في العلاقات الخارجية غير تلك التي يدعو إليها الأصوليون المعروفون في جامعة (بوب جونز) الذين لا تلقى آراؤهم ترحيباً واسعاً. وتؤدي هذه الخلافات والتباينات الدينية والثقافية الدقيقة بالضرورة نتائج سياسية هامة، تستدعي نظرة معمقة للنهوض الكبير الذي شهدت التوجهات التيارات البروتستانتية الأمريكية وذلك من أجل تفسير التأثير الذي سببته المتغيرات الدينية على السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

لماذا التركيز وبشكل خاص على البروتستانتية؟ جزء من الجواب يتعلق بكون المذهب البروتستانتي قد ساهم في تشكيل هوية الولايات المتحدة حيث يبقى أتباع هذا المذهب وإلى يومنا هذا يشكلون أكثرية السكان؛ إضافة إلى ذلك، فإن المتغيرات التي شهدتها الكنيسة الكاثوليكية (والتي يشكل أتباعها ثاني قوة إيمانية في البلاد وأكبر تجمع ديني متمثل في كنيسة واحدة) تعكس صورة مختلطة مع قليل من التأثير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وأخيراً، فإن المجموعات الدينية الأخرى في الولايات المتحدة، أقل تأثيراً وبشكل بارز ولافت عندما تتعلق الأمور بشؤون البلاد السياسية.

مسألة أصول

إن فهم كيف أن التغييرات الحالية في التوجهات البروتستانتية أخذت تؤثر على السياسة الخارجية الأمريكية، سيساعد على فهم الدور التاريخي الذي لعبه الدين تاريخياً في الحياة العامة للبلاد. إن التقاليد الدينية للولايات المتحدة والتي بدأت في القرن السادس عشر متزامنة مع الحركة الإصلاحية الدينية في إنكلترا واسكتلندا، تضمنت مفاهيم ومبادئ ووجهات نظر عالمية متباينة ومتعددة، لكن ما برز منها وكان له التأثير المباشر والقوي هي ثلاثة تيارات:

- التيار التقليدي الملتزم والذي من الممكن تسميته بالأصولي.
- التيار التقدمي الملتزم بالتقاليد الأخلاقية والمعروف بالمسيحي الليبرالي.
- التيار الواسع الانتشار والمعروف بالإنجيلي التقليدي.

ومن الخطأ التفريق التام بين هذه الاتجاهات الثلاثة. لأن معظم المسيحيين الأمريكيين يمزجون بين المبادئ الدينية والاجتماعية التي تحملها التيارات البروتستانتية والأفكار المسيحية الأخرى مع اهتمام بسيط بمدى تناسقها وتناغمها. إلا أن الوصف العام أو الصورة الشاملة لكل تيار ديني من هذه التيارات وتأثيراتها

على دور الولايات المتحدة في العالم، سيجعل من السهل تقييم التغيير الذي أحدثه التبدل في ميزان القوى الدينية وتأثير ذلك على البلاد وسلوكها.

الأصوليون، المسيحيون الليبراليون، ويعدُّ الإنجيليون كلهم جزءاً من التيار البروتستانتي الأمريكي، كما أنهم جميعاً تأثروا بعمق بالخلاف الذي نشب في مطلع القرن العشرين بين الإصلاحيين والأصوليين. في جزء كبير من القرن التاسع عشر كان معظم البروتستانت يؤمنون بأن العلم يثبت ويؤكد التعاليم الإنجيلية. ولكن عندما بدأت علوم الطبيعيات الداروينية وأبحاث العلماء الآخرين في توجيه انتقادات حادة وإثارة المزيد من الشكوك حول النظرة التقليدية للقصص التي سردها الإنجيل ومدى مصداقيتها، عندها، انقسمت الحركة البروتستانتية الأمريكية إلى عدة تيارات. الإصلاحيون قالوا بأن أفضل السبل للدفاع عن المسيحية في عصر النور والعلم هو في اتحاد ودمج المفاهيم العلمية الجديدة مع تلك الدينية وقد اتبع هذا المفهوم والمنطق التيار البروتستانتي الرئيسي. بينما استمر الأصوليون على إيمانهم بأن الكنيسة يجب أن تبقى مخلصةً لمبادئ الإيمان البروتستانتي ومنها الإيمان المطلق بمصداقية الكتاب المقدس وما ورد فيه.

لقد انقسم الأصوليون أنفسهم أيضاً إلى تيارين، تميزا عن بعضهما بشكل أساسي بالرغبة في الإصلاح وطبيعة الفهم الثقافي وليس على خلفية أي خلاف ديني أو لاهوتي. يعتبر التيار الانفصالي أن على المؤمنين الحقيقيين الابتعاد عن الكنائس التي تساوم أو تتسامح مع توجهات الحداثة بأي شكل من الأشكال. في حين أصبحت ثقافة المجتمع الأمريكي أكثر علمانية وتعددية، تابع أصحاب التيار الانفصالي وبوتيرة أعلى انسحابهم من القطاعين الثقافي والسياسي. ومن ناحية أخرى، رأى التيار الآخر من الحركة الأصولية الأساسية ضرورة الاستمرار والانخراط في نواحي الحياة العامة كافة. ولقد دعي هذا التيار أساساً بالحركة الإنجيلية الجديدة. ويفخر الانفصاليون اليوم بالمحافظة على عنوان الأصولية ومبادئها، في حين أن الإنجيليين الجدد تخلوا عن هذه المبادئ وأصبحوا ببساطة يشار إليهم اليوم على أنهم الإنجيليون.

إن التيارات البروتستانتية الأمريكية الحالية (الأصولية، الليبرالية، والإنجيلية) تقودنا إلى أفكار مختلفة حول ما يجب أن يكون عليه دور الولايات المتحدة في العالم اليوم. في هذا السياق، يبدو أن الخلافات المهمة بين هذه التيارات تبقى ضمن نطاق رؤية كل طرف ومدى تفاؤله بصوابية توجهاته لإقامة استقرار وسلام عالميين ضمن إطار القوانين والشرعية الدولية، ومدى الأولوية التي يوليها كل طرف وتيار للتباينات بين المؤمنين وغير المؤمنين. إن عمق المشكلة كما يراها الأصوليون والتي تجعلهم يشعرون بتشاؤم شديد تجاهها، هو في كيفية تحقيق النظام العالمي، في وقت يرون فيه أنه لا إمكانية لرأب الصدع ومد الجسور بين تياري المؤمنين وغير المؤمنين، وعلى عكس الأصوليين فإن الليبراليين متفائلون حول مستقبل السلم الدولي والنظام العالمي ويلحظون اختلافات بسيطة بين تياري المؤمنين وغير المؤمنين، بينما الإنجيليون يقفون في مكان ما بين هذين التوجهين المتناقضين.

والأصوليون هم عبارة عن مجموعات متنوعة، إما بسبب التعريفات المختلفة لمصطلح أصولي، أو تمشياً مع الطابع اللامركزي والشخصية المتميزة للبروتستانتية الأمريكية. وعلى وجه العموم لا يوجد طرف مخول أو يملك الصلاحية للتعريف عن ماهية الأصولية وعما تؤمن به. ولكن يمكن القول بأن مصطلح الأصولية يتضمن ثلاث خصائص:

- رؤية متقدمة حول إلهام وسلطة الإنجيل.
- العزم القوي على الدفاع عن الإيمان التاريخي بالبروتستانتية في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية والعوامل المؤثرة الأخرى من العلمانيين ومؤيدي الحداثة ومن غير المسيحيين.
- والاعتقاد بأن على المؤمنين أن ينأوا بأنفسهم عن العالم غير المسيحي.

من الممكن أن يتواجد الأصوليون داخل كافة المجموعات المسيحية البروتستانتية المحافظة، في حين أن بعض المجموعات المهيمنة من الممكن أن تعتبر إنجيلية، مثل: الكنيسة المعمدانية الجنوبية، وكنيسة ميسوري اللوثرية، التي تعتبر أقلية والتي من الممكن أن يطلق عليها بحق أصولية. المجموعات الأصولية الأخرى المهيمنة، مثل الكنيسة الكالفينية المشيخية التقليدية والتي تعتبر أصغر من مثيلاتها الإنجيلية والليبرالية، خاصة وأن الأصوليين يرغبون في أن تكون مجموعاتهم صغيرة، نقية وصافية، صارمة وملتزمة بالمبادئ، عن تلك المنظمات الكبيرة التي تتداخل فيها أفكار وتوجهات متعددة، إضافة إلى أن التجمعات الأصولية تفضل أيضاً أن تحافظ على استقلاليتها بعيداً عن التجمعات الكبيرة ذات الهيكلية المهيمنة.

كثيرون ممن هم خارج هذا الإطار الأصولي يظنون أن الأصولية هي ضد حركة الفكر والعاطفة. ومن الصحيح القول بأن الكثير من الأمريكيين البروتستانت المحافظين يعلقون أهمية كبيرة على الخبرة الشخصية الروحية والعاطفية. لكن الفرق بين الأصوليين والإنجيليين ليس في كون الأصوليين أكثر عاطفية في إيمانهم واعتقادهم، بل في كون الأصوليين أكثر تشدداً في طريقة إتباع معتقداتهم وأفكارهم بالكامل وصولاً إلى خلاصتها المنطقية. يهتم الأصوليون أكثر من الإنجيليين بالعمل على تطوير نظرة ثابتة وشاملة من وجهة نظر مسيحية عن العالم ومن ثم العمل على تطبيقها بشكل تدريجي. إلا أن هناك شيئاً واحداً مرفوض من وجهة نظرهم تماماً كالإنجيليين وهو نظرية التطور التي جاء بها (داروين)، لأنه قد ثبت لديهم من خلال التجربة الشخصية أن الإنجيل هو دليلهم المعصوم عن الخطأ، وأن نظرية داروين تتناقض مع ما جاء في الإنجيل. لذا فإن هناك شيئاً آخر مختلف بحاجة لتطويره بشكل كامل (كما يعتقد بعض الأصوليون) وهو البحث عن خيار علمي حول موضوع (الخلق من وجهة نظر علمية) ووضع كتب مدرسية للمناهج التربوية والضغط على المدارس لتدريس هذه الكتب تحت طائلة التهديد بسحب التلاميذ من هذه المدارس التي ترفض ذلك. إن المؤسسات التي يسيطر عليها الأصوليون (الحركة المعمدانية المستقلة، وجامعة بوب جونز) لا تعتبر مراكز دافئة وحاضنة لاستقبال من يعالج هذه القضايا الدينية المقدسة، ولكنها غالباً ما تستضيف علماء غير تقليديين.

القرن الماضي، تراجع الأصوليون إلى حالة من العزلة والتشاؤم بسبب سلسلة الهزائم السياسية والفكرية التي لحقت بهم خلال عقدي العشرينات والثلاثينات؛ وهي حالة غريبة عن التوجهات المتفائلة التي عاشتها الحركة البروتستانتية الأمريكية خلال القرن التاسع عشر. وكان من تأثير هذا التراجع أن اتخذ الأصوليون توجهاً دفاعياً، وانصرفوا إلى إعادة النظر والتدقيق في الأمور بطريقة مشابهة لتلك التي طبعت المذهب النوراني الكالفيني الذي انطلق مبكراً في (نيو إنجلند). ويحمل الأصوليون –كما النورانيون– نظرة قاتمة ويرون بأن هناك فجوة واسعة جداً بين الأرواح القليلة التي اختار الله إنقاذها وتلك الكثيرة التي قدر الله لها أن تذهب إلى الجحيم. لقد سعى الكالفينيون سابقاً لإنشاء تجمع ديني بين (الميثاقيين أو الوطنيين الأسكتلنديين، وحزب كيرك) في سكوتلندا؛ وفي إنكلترا خلال فترة حكم أوليفير كروميل، وكذلك في نيو إنجلند، وكان كل هذا خلال القرن السابع عشر. ولكن خلال القرون الثلاثة الماضية أصبحت فكرة بناء وإقامة الدولة الدينية أقل جاذبية وإمكانية بالنسبة للمتشددين من الأصوليين. ولم تكن فقط المتغيرات الديموغرافية (السكانية) وحدها السبب لنتخيل الظروف الصعبة التي يعانيها الأصوليون لتشكيل أكثرية، بل إن التجربة السابقة لهذه التجمعات ترينا أيضاً أن الأجيال اللاحقة من المؤمنين عادة ما تفقد حماسة المؤسسين. خرج الأصوليون من هذه التجربة بحزن عميق وحكمة أكبر، لذا فإن الأصوليين يعتقدون أن الجهد الإنساني لبناء عالم أفضل يملك فرصاً ضئيلة في النجاح. وهم يتفقون مع ما قاله المبشر الأمريكي الذي عاش في القرن التاسع عشر (دوايت مودي) عندما ألح عليه البعض ليركز على النشاط السياسي، فأجاب: أنا أرى هذا العالم كسفينة مثقوبة، ولقد أعطاني الله قارب نجاة وقال لي، مودي، أنقذ معك من يمكنك إنقاذه.

وإذا كان الأصوليون يميلون للتشاؤم حول إمكانية تحقيق إصلاح اجتماعي في الولايات المتحدة، إلا أنهم على عداء مع الفكرة القائلة بإمكان تحقيق النظام العالمي استنادا إلى الأخلاق والمبادئ العلمانية والمؤسسات الدولية الأخرى كالأمم المتحدة. وكونهم على إطلاع أكثر من غيرهم من الأمريكيين على وقائع اضطهاد المسيحيين في مناطق معينة من العالم، لا يرى الأصوليون أن من الأخلاق التعاون مع حكومات تضطهد الكنائس، وتمنع التبشير المسيحي، أو تعاقب من يتحول إلى الدين المسيحي بناء على القانون الإسلامي. أما المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة التي تتعامل مع هذه الحكومات على أنها شرعية، فإنهم يرون أنها تطبق كلام النبي أشعيا: (لقد أقمنا عهدا مع الموت، ومع جهنم نحن على اتفاق). إنها ليست مصادفة أن تكون القصة الشعبية (Left Behind) والتي صورت نهاية العالم من وجهة نظر الأصوليين، تظهر أن أعداء المسيح كالأمين العام للأمم المتحدة يستلمون السلطة.

نهاية الأمر إن الأصوليون ملتزمون بالرؤية التنبؤية لنهاية العالم ويوم الدينونة. وكما يشرح الكتاب المقدس، فإنهم يؤمنون بأن النبوءات القاتمة والسيئة الواردة في المخطوطات العبرية واليونانية، هي نفسها التي في الكتاب المقدس التي تروي الأحداث الكبرى الرهيبة التي ستسدل الستار على تاريخ البشرية. إن

الشيطان وحلفاؤه من البشر سيقومون بالانتفاضة الأخيرة ضد الله ونخبته من المؤمنين الذين سيتعرضون لاضطهاد فظيع، ولكن المسيح سيتمكن من إخضاع أعدائه وسيفتتح عهداً جديداً في الأرض والسماء.

التفكير الليبرالي

يرى التيار المسيحي الليبرالي أن جوهر المسيحية هو في تعاليمها الأخلاقية وليس في مبادئها التقليدية. وإذا عدنا إلى الخلف بعيداً إلى القرن السابع عشر سنرى أن هذا الشكل من التفكير المسيحي هو الذي عمل تخليص الدين من الأساطير. ليفصل ما بين النوى (الإلهام الأخلاقي) عن القشرة (الأسطورة). ويشكك الليبراليون المسيحيون بالتعقيدات التي ارتبطت بطبيعة المسيح ومفهوم معنى الثالوث.

التي تطورت مع القرون الأولى لإنشاء الكنيسة. كما أنهم لا يبدون حماسة في قبول مختلف القصص والأحداث كما وردت حرفياً وردت في الكتب المقدسة مثل قصة خلق العالم في سبعة أيام، وجنة عدن، وطوفان نوح، وغيرها... ويمتد هذا الشك أيضاً إلى الرواية التي تتحدث عن عودة المسيح بجسمه من بين الأموات، وسائر المعجزات الأخرى التي تنسب إلى للمسيح. وبدلاً من الأيمان بأن المسيح كان ذا طبيعة غير عادية، يراه المسيحيون الليبراليون معلماً أخلاقياً رفيع المستوى تستحق مبادئه وممارساته أن تتبع طوال الحياة. وغالباً ما توجه هذه الأفكار نحو الفقراء. دخلت الكنيسة التوحيدية الولايات المتحدة في عام 1794 بواسطة العالم واللاهوتي الإنجليزي (جوزيف بريستلي) والذي يتمحور جوهر منظمته حول هذه الأفكار. لقد كان بريستلي صديقاً مقرباً من بنيامين فرانكلين، وله تأثير ديني مباشر على توماس جيفرسون، بالرغم من أن كلاً من فرانكلين وجيفرسون كانا يحضران القداس الكنسي في الكنيسة (الأسقفية). لقد دفعت الأفكار الداروينية والانتقادات للكتاب المقدس، الآخرين للتساؤل عن مدى الدقة الحرفية للقصص الواردة في الكتاب المقدس، فانتشرت الليبرالية بشكل واسع داخل التيار البروتستانتي.. بما في ذلك الكنائس، (المشيخية، النظامية، المعمدانية الأمريكية، الأسقفية، اللوثرية، والتجمعية). والتي ينضوي تحتها نخبة المواطنين الأمريكيين من الاقتصاديين والمفكرين والشخصيات الاجتماعية.

بالرغم من أن المسيحيين المحافظين يعتبرون أن التقدميين هم خارج التيار المسيحي، إلا أن المسيحيين الليبراليين يدعون أنهم يمثلون جوهر البروتستانتية. فالإصلاح من وجهة نظرهم يعتبر الخطوة الأولى على طريق استعادة جوهر المبادئ والقيم المسيحية. لقد نظف المصلحون الأوائل الكنيسة من بيع صكوك الغفران والأفكار الأخرى المتعلقة بالطهارة والعذاب، والعصمة البابوية، ومبدأ التحول. وفي مهاجمتهم بعض المبادئ المسيحية الأساسية كالثالوث، والخطيئة الأساسية، ووجود الجحيم، يعتقد الليبراليون المسيحيون اليوم أنهم ببساطة يتبعون المبادئ البروتستانتية.

إن الليبرالية المسيحية تفرق بين المسيحيين وبين غير المسيحيين بحدة أقل من باقي المجموعات البروتستانتية الأمريكية الأخرى. كما يؤمن المسيحيون الليبراليون بأن المفهوم الأخلاقي والمبادئ الأخلاقية

واحدة في كل أنحاء العالم. فالبوذيون، والمسيحيون، والهندوس، واليهود، المسلمون، وحتى الأشخاص غير المؤمنين من الممكن أن يتفقوا على ما هو الصحيح وما هو الخطأ. إن كل ديانة تملك تصوراً حول جوهر ولبّ الحقيقة الأخلاقية. كما أن الفكرة أو المبادئ القائمة على أن الكنيسة هي عبارة عن مجتمع غير عادي يتمتع أعضاؤه بميزات خاصة، لا تلعب إلا دوراً صغيراً في المجتمعات الكنسية المسيحية الليبرالية.

ولأن معظم المسيحيين الليبراليين، باستثناء (الكنيسة الواقعية، التي يمثلها المبشر راينهولد نيبهور) يتجاهلون التعاليم المتعلقة بفكرة الخطيئة الأساسية، فإن الليبرالية المسيحية تدفع باتجاه التفاؤل بتحقيق السلم والنظام العالميين، وبمستقبل المؤسسات والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة. بالفعل، غالباً ما يرى المسيحيون الليبراليون بأن النضال لإقامة مملكة الله هو نداء لدعم ومساندة الأهداف السياسية التقدمية داخل البلاد وخارجها. كما أنهم يجادلون أيضاً بشأن النبوءات القاتمة والإلهامات التي تشير إلى صعوبة إنشاء نظام اجتماعي عادل على الأرض.. ويقولون بإمكانية الوصول إلى هذا الهدف إذا تعاون الجميع على إنشاء هذا النظام.

لقد سيطرت البروتستانتية الليبرالية على وجهة نظر الطبقة السياسية الأمريكية حول العالم خلال الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الباردة. فقادة الولايات المتحدة الكبار أمثال فرانكلين روزفلت، هاري ترومان، دين أتشيسون، دوايت أيزنهاور، وجون فوستر دالاس، كانوا كالآخرين من أبناء النخبة السياسية الأمريكية في ذلك الوقت غارقين عميقاً في هذه المفاهيم التقليدية. لقد فتحت المقاربة التي تبناها المسيحيون الليبراليون باب التعاون مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ومع اليهود، الذين أصبحوا فيما بعد أكثر نفوذاً وتأثيراً في الولايات المتحدة. إن هذا التفاؤل الذي يحمله العديد من المسيحيين الليبراليين في معالجتهم للمشاكل العالمية وفي تعاونهم مع الآخرين من خلال القنوات الأخلاقية والدينية هو انعكاس لنجاحهم المبكر في بناء تفاهم وتعاون مع الآخرين في الداخل الأمريكي.

واجهت الليبرالية المسيحية في السنوات الأخيرة العديد من التحديات:

1 – تتجه الليبرالية البروتستانتية للتحول إلى العلمانية. فأتباع هذه الكنيسة يتبعون تعاليمها وصولاً إلى باب الكنيسة فقط. وبالتالي فإن هيمنة تيارها آخذة في الاضمحلال.

2- قليلاً ما يشارك الليبراليون المسيحيون أو ينخرطون في القضايا والمواضيع الدينية، ولكنهم قد ينخرطون في المشاركة في معالجة القضايا البيئية، أو يشاركون في نشاطات متعلقة بحقوق الإنسان، وهذه نشاطات غالباً ما تأخذ دورها في المجتمع العلماني.

3 – يخسر الليبراليون المسيحيون دورهم التقليدي كدعاة لتعميق الإيمان في المجتمع بابتعادهم عن الكنيسة الكاثوليكية بمواقفهم من القضايا المتعلقة بالإجهاض والشذوذ الجنسي، وعن اليهود بتخفيف دعمهم لإسرائيل.

4- هذه التيارات الدينية تركز بشكل متزايد على قضايا مثل حقوق الشاذين جنسياً، كما تستهلكها الصراعات الداخلية، مما يجعلها أقل قدرة على التأثير على كامل المجتمع الأمريكي.

الإنجيليون والخط المعتدل

الإنجيليون وهم ثالث التيارات الدينية البروتستانتية في الولايات المتحدة، يقفون وسط خط التجاذب بين الأصوليين والليبراليين. فهم يشاركون الأصوليين لب معتقداتهم، ولكن أفكارهم حول العالم قد تأثرت بشكل كبير بالتوجه المتفائل المتوطن داخل المجتمع الأمريكي. على الرغم من أن هناك تنوعات لاهوتيه مهمة داخل هذه المجموعة.

تعتبر الكنيسة المعمدانية الجنوبية صاحبة أكبر تيار إنجيلي في الولايات المتحدة وهي تضم ما يقارب 16.3 مليون عضو، وتعتبر أيضا أكبر تيار بروتستانتي. التيار الإنجيلي الثاني هو تجمع الكنائس الأفرو- أميركي، ويشمل الكنيسة المعمدانية الوطنية في الولايات المتحدة، ومؤتمر الكنائس المعمدانية في الولايات المتحدة، حيث يضم كل تجمع ما يقارب من 5 مليون عضو. وكنيسة الله المتجسد في المسيح الأفرو- أميركية، والتي تضم 5.5 مليون عضو. وهي من أكبر الكنائس التي يهيمن عليها العرق الأسود. وكنيسة التجمع من أجل الله التي تنمو بسرعة والتي تضم حوالي 2.7 مليون عضو، وتتميز بعدم وجود غالبية من العرق الأسود بين أعضائها. كنيسة ميسوري اللوثرية التي تضم حوالي 2.5 مليون عضو وهي الثانية من حيث هيمنة العنصر الأبيض على أعضائها. ويشبه الإنجيليون البيض الأصوليين من حيث تجمعهم غالباً في مجموعات ومنظمات صغيرة تدعى المنظمات المؤيدة للكنيسة، كالتجمع الصليبي من أجل المسيح، وحافظي الوعد، والخبراء في ترجمة الإنجيل. كما يشبه الإنجيليون الأصوليين من نواح عديدة، ليس فقط من ناحية التعاليم الأخلاقية، بل إنهم يولون أيضاً قدراً كبيراً من الأهمية للتوجهات والعقائد المسيحية. وبالنسبة للإنجيليين والأصوليين، فإن تركيز الليبراليين على ترجمة المبادئ الأخلاقية إلى معتقدات مفادها أن العمل الصالح والتطبيق المناسب للمبادئ الأخلاقية هو الطريق إلى الله يعتبر خيانة لرسالة المسيح، لأن المفهوم أو المعتقد القائم على فكرة الخطيئة، يجعل الإنسانية عاجزة تماماً عن الالتزام بأي من المبادئ الأخلاقية أو سواها. وتعتبر جوهر الرسالة المسيحية أن توجيه وصب الجهد الإنساني على إرضاء الله بمراعاة وتطبيق المبادئ الأخلاقية العليا سوف يفشل؛ فبالنسبة لهم، وحده الإيمان بعقيدة صلب المسيح وقيامته من بين الأموات بإمكانها أن تنقذ الإنسانية.

يعلق الإنجيليون أيضاً أهمية كبيرة على الفرق بين هؤلاء الذين أُنقذوا (saved) وبين أولئك الذين لم يتم لهم ذلك بعد. وتماماً كما الأصوليين، يؤمن الإنجيليون بأن الإنسان الذي يموت دون أن يعلن قبوله وإيمانه بتضحية المسيح أو الاعتراف به كمخلص سيهلك يوم الحساب وسوف يبقى بعيداً عن الله إلى الأبد. ويوافقون مع الأصوليون على أن الذين لم يتم إنقاذهم ولم يتحقق خلاصهم بالإيمان، غير قادرين على القيام بأي عمل جيد من تلقاء أنفسهم.

وأخيراً، فإن معظم الإنجيليين وليس جميعهم بالطبع يشاركون الأصوليين في رؤيتهم لنهاية العالم. إلا أنه فعلياً، فإن كل الإنجيليين يؤمنون بأن كافة النبوءات الواردة في الكتاب المقدس سوف تتحقق، والغالبية منهم توافق مع الأصوليين على العقيدة القائلة بمبدأ (الألفية): وهي تعني الإيمان بأن المسيح سوف يعود وسيباشر في تحقيق النبوءة القائلة بأنه سوف يؤسس مملكة السلام التي ستحكم العالم وسيدوم حكمها ألف عام. لذا فإن كل المحاولات الإنسانية لبناء عالم يعمه السلام قبل عودته سوف تفشل. هذه المعطيات التي بين أيدينا تجعلنا لا نفاجئ عندما يميل العديد من المراقبين إلى الخلط بين الإنجيليين والأصوليين ظناً بأن أحدهم إنما يستلهم أفكار ومبادئ الأخر. ولكن يبقى بعد بعض الاختلافات الهامة بين الطرفين حول رؤيتهم ووجهة نظرهم من العالم. يميل الإنجيليون إلى العمل تحت تأثير من بعض المفاهيم الكالفينية. الموقف المحدد والواضح هو أن التضحية التي قام بها المسيح على الصليب كانت تهدف إلى إنقاذ وخلاص عدد محدد وصغير من الأرواح التي خلقها الله، في حين أن الأرواح الأخرى المتبقية لا فرصة لها في الخلاص. إلا أنه نفسياً وعقائدياً يملك الإنجيليون الأمريكيون نظرة عامة أقل حدة وتشاؤماً، فهم يعتقدون أن الإيمان بمفهوم الخلاص، منافعه متوفرة لكل شخص، وأن الله قد أعطى كل فرد الفرصة الكافية والحرية ليتمكن من اختيار خلاصه إذا شاء. تقسم المبادئ الكالفينية الواضحة والصارمة الإنسانية إلى معسكرين مع القليل من الأمور المشتركة بينهما. فوجهة النظر الإنجيلية السائدة تفيد أن الله يحب كل أرواح البشر، وأنه يحزن لخسارة أية واحدة منها، وأنه يرغب بشدة في خلاصهم جميعاً.

كل المسيحيين سواء كانوا أصوليين، ليبراليين، أو إنجيليين، يرون أنهم مسؤولون ويقولون صراحة بمسؤوليتهم عن إظهار الحب والعاطفة نحو كل إنسان سواء كان مسيحياً أو غير مسيحي، فهم يعتقدون أن مليارات الأرواح لا زال من الممكن إنقاذها، وهم يقومون بذلك في حياتهم اليومية من أجل المسيح يمارسه المسيحيون في حياتهم اليومية، من خلال مساعدتهم للمحتاجين وعن طريق التبشير. ولذلك غالباً ما يكون الإنجيليون منفتحين وتواقين وساعين بجد للعمل الاجتماعي والتعاون مع الأشخاص غير المؤمنين في مشاريع تهدف إلى تحسين مستوى الخدمات الاجتماعية والإنسانية بالرغم من استمرار إيمانهم بأن هؤلاء الذين ما زالوا يرفضون الإيمان بالمسيح كمخلص لا يمكنهم دخول مملكة الله بعد الموت.

إن من الصعب توقع مواقف الإنجيليين، فالصدمة التي أحدثتها الاستطلاعات الأخيرة والتي أظهرت أن الغالبية العظمى من الأمريكيين يرفضون نظرية التطور، دفعت بالمفكرين والصحفيين الأمريكيين إلى الاستعداد لشن هجوم شامل على العلوم الداروينية؛ ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث بعد. فلطالما رفض المجتمع والرأي العام الأمريكي النظرية الداروينية، ولكن ما زالت هناك ولايات في الولايات المتحدة في ولايات مثل آلاباما، مسيسيبي، وكارولينا الجنوبية تضم جمهوراً مسيحياً كبيراً وناشطاً، لا تزال الجامعات الحكومية فيها تدرس علم الفلك، وعلم الجينات، والجيولوجيا، وعلم الوراثة دون الالتفات

الآراء الدينية المتعلقة بتكوين الكون، كما لا تزال حكومة الولايات المتحدة على دعهما لأنجح المؤسسات والمجتمعات العلمية في العالم. وعلى عكس ما هي عليه حال الأصوليين، لا يستنكر الإنجيليون هذا التناقض كما أنهم لا يرغبون في العمل على تغييره. دفعت البراغماتية التي تتميز بها الثقافة الأمريكية ممزوجة بما يمكن أن يسمى الأصوات المناهضة للفكر، بالتوجه أو التيار الديني الإنجيلي إلى إيجاد نوع من التسامح الديني الواسع، وهو أمر رفضه البعض واعتبروه منفرّاً وغير مقبول. في القرن السابع عشر عارض اللاهوتي المتزمت هارفرد الأفكار الفلكية للعالم كوبرنيكوس، ولكن الإنجيليين الأمريكيين اليوم قادرون على ترك مساحة واسعة تمر من خلالها التناقضات بين النظريات الدينية، وسجلات المكتشفات من الأحافير دون أن تجد لها حلاً. ما لا يعجب الإنجيليين هو ما يطلق عليه البعض لقب (علمي): "وهو ما يعني المحاولة لتعليم نظرية التطور أو أي موضوع آخر بطريقة ما تؤدي إلى رفض ونقض وجود الخالق وإنكار أفعاله".

ويعتبر الإنجيليون أنهم الأكثر تفاؤلاً فيما يخص تحقيق تقدم على المستوى الأخلاقي. فإن الأقلية الإنجيلية التي تؤمن بعودة المسيح لتحقيق النبوءة (يؤمنون بأن هذه العودة سوف تتم بعد أن يعمّ السلام العالم لمدة ألف عام)، يؤمنون بأن هذه العملية من الممكن أن تستمر حتى يصل المجتمع الإنساني إلى حالة من القداسة: وهذا يعني أن التطور الديني للأفراد والمجتمعات سيتراكم ليؤسس مملكة السلام من خلال عملية التطور والتحسن التدريجي. وهم بهذا يتفقون مع ما يراه الليبراليون في هذا الخصوص، فعلى أرض الواقع، غالباً ما ضم الليبراليون والإنجيليون جهودهم في العديد من القضايا المتعلقة بالشؤون الإنسانية والأخلاقية على المستويين المحلي والدولي خلال مراحل التاريخ الأمريكي. وبالرغم من أن المجموعة الغالبة التي تؤمن بعودة المسيح لتحقيق مملكته وليعم السلام الأرض أقل تفاؤلاً حول إمكانية نجاح جهود كهذه، إلا أن الإنجيليين الأمريكيين غالباً ما يكونون متفائلين حول إمكانية تحسين الواقع الإنساني على المدى القصير لما فيه خير الإنسانية.

في الكتاب الذي نشره عام 2005، المبشر الأمريكي المحافظ ريتشارد لاند تحت عنوان (تخيل، الله بارك أمريكا): حول كيفية تحقيق هذا الأمر، وكيف يمكن أن يكون ذلك، يشرح المبشر الإنجيلي المحافظ هذه النظرة الإنجيلية المتفائلة ويبررها فيقول: "أنا أعتقد بأنه سيكون هناك بعد صحوة كبرى أخرى في بلادنا، يقظة على امتداد انتشار الأمة، فالنصوص والمخطوطات تقول لنا بأن لا أحد منا يعرف على وجه الدقة أو بالتحديد اليوم أو الساعة المحددة لعودة المسيح. إلا أننا لا نملك الحق في أن نتخلى عن العالم ونتركه على حالته المزرية والتعيسة؛ لا شيء في هذه النصوص التي بين أيدينا تدعونا إلى تجاهل هذا الواقع والعيش في (غيتوات) مسيحية منعزلة، وعدم العمل على تحويل العالم إلى المسيحية".

ميزان القوى

لقد شهدت العقود الأخيرة تغيراً خطيراً في ميزان القوى الدينية في الولايات المتحدة.تاريخياً طغى الانتماء للتيار الليبرالي ليهيمن على الكنائس البروتستانتية والتي وصلت إلى ذروتها في عقد الستينات من القرن الماضي. منذ ذلك الحين وبينما كان عدد الأمريكيين المسيحيين يتزايد كان الانتماء إلى هذا التيار المهيمن ينخفض بشكل حاد. بناء على ما نشرته "المسيحية اليوم" Christianity Today فإنه بين عامي 1960 و2003 انخفض عدد الأعضاء في هذا التيار حوالي 24%، من 29 مليون إلى 22 مليون عضو، وقد كان لهذا الانخفاض تأثيرات دراماتيكية. في عام 1960، كان أكثر من25% من كافة الأعضاء في المجموعات والأحزاب الدينية في الولايات المتحدة ينتمون إلى سبعة تيارات بروتستانتية أساسية، وبحلول عام 2003، هذا الرقم انخفض إلى 15%. ولقد ذكر مركز الأبحاث (Pew) في تقريره أن 59%، من البروتستانت الأمريكيين عرفوا عن أنفسهم على أنهم يتبعون التيارات البروتستانتية وذلك عام 1988. وبحلول عام 2002-2003، انخفضت هذه النسبة إلى 46%. وفي نفس الوقت ارتفعت نسبة البروتستانت الذين يعرفون عن أنفسهم على أنهم إنجيليين من 41 % إلى 54%.

في عام 1965 كان عدد الأعضاء المنضويين تحت الكنيسة الأسقفية في الولايات المتحدة حوالي 3.6، مليون عضو، أي حوالي 1.9% من مجموع السكان. بحلول عام 2005، انخفض العدد إلى حوالي 2.3، مليون عضو، أي حوالي 0.8% من عدد سكان الولايات المتحدة. وهبط عدد أعضاء الكنيسة النظامية المتحدة من 11.2 مليون عضو عام 1965، إلى حوالي 8.2 مليون عضو عام 2005. وفي نفس الفترة الزمنية تراجع عدد أعضاء الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة من 3.2 مليون عضو إلى 2.4 مليون عضو، كما أشارت كنيسة المسيح المتحدة إلى أن عدد أعضائها يتراجع بنسبة 50%.

في هذا الوقت، وبالرغم من الإشارات التي تدل على تباطؤ النمو بعد عام 2001، إلا أن الكنيسة المعمدانية الجنوبية كسبت أكثر من 7 مليون عضو جديد لتصبح أكبر تيار بروتستانتي في الولايات المتحدة. بين عامي 1960- 2003 كسبت الكنيسة المعمدانية الجنوبية أعضاءً أكثر مما خسرت الكنائس(النظامية، المشيخية، الأسقفية، كنيسة المسيح المتحدة) مجتمعة من الأعضاء. عام 1960 كانت الكنيسة النظامية تضم مليوني عضو أكثر من المعمدانية الجنوبية في الولايات المتحدة، وبحلول عام 2003، أصبحت الكنيسة المعمدانية الجنوبية تضم أعضاءً أكثر من كافة الكنائس التالية مجتمعة (النظامية، المشيخية، الأسقفية، كنيسة المسيح المتحدة).

ليس من الصعب ملاحظة تأثير هذه التوجهات والمتغيرات على السياسة الوطنية. المجموعات التي تعرف بالإنجيلية أمنت حوالي 40% من الأصوات التي نالها جورج بوش في انتخابات 2004 تقريباً. حصل بوش على 68% من أصوات الإنجيليين البيض خلال الانتخابات التي جرت عام 2000، و78% في عام 2004 (فيما استمرت أغلبية الإنجيليين السود الأفريقيين في التصويت لصالح الحزب الديمقراطي،

وحاز بوش على أصوات أكثر من الأقلية الإسبانية البروتستانتية منها من الأغلبية الكاثوليكية الإسبانية. بالرغم من أن كلا المجموعتين البروتستانتية والكاثوليكية الإسبانية، كانا أقرب إلى دعم بوش لو تم الاهتمام بهما ورعايتهما دينياً). ويلعب الإنجيليون دوراً رئيسياً في انتخابات مجلسي النواب والشيوخ، ولقد ازداد عدد الأعضاء الإنجيليين في كلا المجلسين من 10% عام 1970، إلى أكثر من 25% عام 2004.

ويبقى الأصوليون أقل تأثيراً، بالرغم من ازدياد عددهم وحضورهم السياسي الملحوظ، وهذا يعود في جزء منه إلى استمرار انتشار روح التفاؤل السائدة في الولايات المتحدة مما يحد من جاذبية التشدد الذي يتصف به المذهب الكالفيني. أيضاً، يجب ملاحظة أن السياسة الدينية في الولايات المتحدة تبقى محتاجة للتحالفات. فأحدى الأفكار الدينية التي تتبناها الأصولية لا تزال ترى في الكاثوليكية مذهباً شيطانياً، وغير قادر على لعب أي دور بناء. ولتصبح هذه الأمور أكثر تعقيداً فإن الأصوليين أنفسهم منقسمين بين توجهين سياسيين متعارضين: الأول تدفعه الرغبة في الابتعاد عن هذا العالم الملعون ومشاكله. والثاني يدفعه الطموح لمحاولة العمل على بناء عالم ومجتمع ديني جديد.

أخيراً، يبقى أن العديد من الإنجيليين يرفضون المواقف الأصولية. وقد قال القس فرانك بايج بعد انتخابه في حزيران/ يونيو عام 2006، رئيساً للكنيسة المعمدانية الجنوبية، حول هذا الموضوع: " أنا أؤمن بكلمة الله، ولكنني لست مجنوناً بها".

التأثير في العالم الخارجي

هناك قضيتان محددتان توضحان التغيير الذي طرأ على السياسة الخارجية الأمريكية نتيجة النفوذ المتزايد للإنجيليين:

- حددت القيادة الإنجيلية أولوياتها ووسائلها بما يتعلق بالشؤون الإنسانية وسياسة حقوق الإنسان، وهي تزيد بشكل عام من دعمها لمسألة المساعدات الخارجية ولسياسات الدفاع عن حقوق الإنسان.
- أما فيما يتعلق بالمسألة اليهودية وإسرائيل، فإن ازدياد قوة الإنجيليين عمّق من دعم الولايات المتحدة للدولة اليهودية، في حين أن التيار المسيحي الليبرالي قد حافظ على مسافة معينة بينه وبين القدس.

ويمكن القول إن القوة الإنجيلية السياسية اليوم لا تقود سياسات الولايات المتحدة في اتجاهات جديدة كلياً، فقد شاهدنا على الأقل أجزاءً من هذا الأداء من قبل: لقد كان الإنجيليون تياراً قوياً ومهيمناً في ثقافة الولايات المتحدة خلال مرحلة كبيرة من القرن التاسع عشر ومطلع السنوات الأولى من القرن

العشرين، ولكن التغييرات التي طرأت على توجهات البلاد خلال السنوات القليلة الماضية كانت واضحة.

لطالما كان الإنجيليون في العالم الأنجلو- أميركي داعمين للقضايا الإنسانية ولسياسات حقوق الإنسان على المستوى العالمي. على سبيل المثال فقد قاد الإنجيلي (ويليام ويلبرفورس) الحركة البريطانية المناهضة للعبودية. وثبت الإنجيليون على دعمهم للحركات الوطنية التحررية في القرن التاسع عشر، والتي غالباً ما كانت تحركات لأقليات مسيحية تسعى للاستقلال عن سلطة الإمبراطورية العثمانية. كما قاد الإنجيليون العديد من حملات الإصلاح، والتي غالباً ما تكون متعلقة بقضايا تحرر المرأة من مثل مناهضة عملية إحراق المرأة الأرملة في الهند في المحرقة التي أحرقت فيها جثة زوجها ومحاربة قضية تحجيم قدم المرأة في الصين، وتشجيع تعليم الإناث على امتداد العالم النامي، ومواجهة قضية خطف النساء والأطفال لأمور جنسية (تجارة الرقيق الأبيض) في كل مكان من العالم. كما أن الإنجيليين طالما أبدوا اهتماماً بالقضايا المرتبطة بالشؤون الأفريقية، ولذلك، حين الإنجيليون مؤخراً إلى مواقع السلطة السياسية في الولايات المتحدة مؤخراً، فإنهم أيدّوا السياسات المتعلقة بهذا الموضوع، وأضافوا بعضاً من القوة والدعم لجهود الولايات المتحدة الإنسانية. في عهد جورج وبوش ومع دعم كبير وقوي من الإنجيلي مايكل غيرسون (الذي شغل منصب مستشار سياسي رفيع المستوى وكاتب خطابات الرئيس)، ازداد الدعم الأمريكي لأفريقيا بنسبة 67%، من ضمنها 15 مليار دولار في إنفاق جديد على برامج مخصصة لمكافحة الإيدز. وقد عزز بعض السياسيين الأفريقيين – مثل النيجيري أولاسوغن أوباسانغو، والأوغندي يوري موسيفيني – من علاقاتهم مع القوى الإنجيلية، لبناء قوى دعم لهما في واشنطن، كما فعل ذلك سابقاً أيضاً، الصينيان، صن يات سن، ومدام تشيانغ كاي تشيك. وبفضل جهود الإنجيليين التي بذلوها من خلال ممارسة المزيد من الضغط لوقف تجارة تهريب البشر والعبودية الجنسية للنساء والأطفال، أصبحت هذه الأمور على رأس أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، ودفعت بالولايات المتحدة إلى أن تقود الحملة من أجل وقف الحروب السودانية. وقد حرك "ريك وارين" راعي الأبرشية الإنجيلية في جنوب كاليفورنيا وناشر كتاب (الهدف الذي يقودنا في الحياة)، (والذي سجل أعلى معدل مبيعات في تاريخ الناشرين الأمريكيين)، أكثر من 22.000 عضو من أعضاء كنيسته للمساعدة على مكافحة الإيدز على امتداد العالم باستضافته المؤتمرات لمناقشة هذا الموضوع ولتدريب المتطوعين، ولتنظيم العلاقات مع الكنائس في راوندا.

ولم يتبع الإنجيليون الأجندة المتعلقة بالقضايا الإنسانية وحقوق الإنسان التي وضعها القادة الليبراليون والعلمانيون، بل انصب تركيزهم على موضوع الحريات الدينية بما فيها حرية التبشير وحرية التحول من دين إلى دين. وبفضل جهود الإنجيليين، (بالرغم من الدور الذي لعبه بعض الكاثوليك واليهود) قد

صادق الكونغرس على قانون الحريات الدينية العالمية في عام 1998، وأسس لهذا الشأن مكتباً في وزارة الخارجية لمتابعة الأمور المتعلقة بهذا الموضوع في الدول المعنية.

وبالرغم من هذه المبادرات الحكومية، يبقى الإنجيليون مشككين بالمساعدات التي تقدم من دولة لدولة أو التي تمر عبر مؤسسات متعددة الأطراف، إذ إنهم يفضلون التعاطي مع القواعد الشعبية مباشرة أو مع المنظمات الدينية. وبشكل عام، فإن الإنجيليين يسارعون في دعم بعض القضايا والمشاكل المحددة، ولكنهم يشككون بالتصورات والرؤى الكبيرة وحول قضايا التنمية التي تستلزم جهوداً على مستوى عالي. غالباً ما يستجيب الإنجيليون بقوة لقضايا وحالات معينة تتعلق بالمعاناة الإنسانية أو فقدان العدالة، ولكن اهتمامهم الأساسي يتركز على حل المشكل أكثر منه على بناء المؤسسات (يعتبر المسيحيون الليبراليون هذا الأداء دليلاً على الثقافة غير الخلاقة للإنجيليين).

وتشكل السياسة الخارجية الأمريكية نحو إسرائيل ميداناً آخر يبرز فيه تأثير الإنجيليين المتزايد بشكل واضح. ولهذه العلاقة تاريخ طويل. في الحقيقة إن الصهيونية البروتستانتية الأمريكية هي بالتأكيد أقدم من نموذج اليهودية الحديثة؛ وقد ضغط الإنجيليون منذ القرن التاسع عشر على المسؤولين الأمريكيين لإقامة ملجأ في الأراضي المقدسة لإيواء المضطهدين اليهود من أوروبا والإمبراطورية العثمانية.

وتنظر الإنجيلية الدينية في الولايات المتحدة بشكل مميز وفريد إلى دور الشعب اليهودي في العالم الحديث. فمن ناحية، يتبنى الإنجيليون النظرة المسيحية الواسعة الانتشار القائلة بأن المسيحيين هم الوارثون للوعود التي قطعها الله للعبرانيين القدامى، لكن على عكس العديد من المسيحيين الآخرين فإن الإنجيليين يؤمنون بأنه لا زال للشعب اليهودي دور في خطة الله. وقد ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، دراسة معمقة للنبوءات الواردة في الكتاب المقدس أقنعت المفكرين الإنجيليين كما المؤمنين بأن اليهود سوف يعودون إلى الأراضي المقدسة قبل العودة المظفرة للمسيح. إضافة إلى ذلك، يعتقد الإنجيليون، بأن الفوضى القائمة قبل عودة المسيح سوف تدفع بالعديد من اليهود إلى اعتناق المسيحية، إلا أنه حتى ذلك الوقت فإن معظم اليهود سوف يستمرون على رفضهم للمسيح. إن هذا الاعتقاد يخفف بشكل ملموس الاحتقان والتوتر المفترض بين اليهود والإنجيليين، بما أن الإنجيليين لا يتوقعون كما توقع مارتن لوثر، بأنه حين يتم عرض الإيمان الحقيقي فإن اليهود سوف يتحولون بأعداد كبيرة. إن الغضب الذي أحس به مارتن لوثر عندما لم تتحقق توقعاته دفعه إلى أن يكون أقرب إلى معاداة السامية من ناحيته، وهذا ما لن يحدث من جانب الإنجيليين.

يرى الإنجيليون أن استمرار وجود الشعب اليهودي يعطي دفعاً قوياً للنقاش حول وجود الله وقوته على امتداد التاريخ. إن كتاب (سفر التكوين) يروي أن الله قال للنبي إبراهيم، " سأجعل منك أمة عظيمة، وسوف أباركك، وسأباركهم ما باركتك، وسوف ألعنه كما لعنك، وبك فإن كل عائلات الأرض ستتبارك". بالنسبة للإنجيليين، إن حقيقة نجاة الشعب اليهودي واستمراره على مدى آلاف السنين،

وعودتهم إلى أراضيهم القديمة المقدسة، هو برهان على حقيقة وجود الله. وأن الإنجيل هو الملهم، وان الدين المسيحي هو الدين الحق. ويؤمن العديد من الإنجيليين بأن الوعود الواردة في سفر التكوين لا زالت قائمة وأن رب إبراهيم سيبارك الولايات المتحدة إذا ما باركت الولايات المتحدة إسرائيل؛ وهم يرون في ضعف، وهزائم، وفقر العالم العربي دليلاً واضحاً على اللعنة التي أنزلها الله بأولئك الذين يلعنون إسرائيل.

إن انتقاد إسرائيل وانتقاد الولايات المتحدة لدعمها إسرائيل لا يحرك ساكناً لدى الإنجيليين، بل يعزز قناعتهم، لأنهم يرون أن العالم الذي يكره إسرائيل إنما مثله مثل الرجل المنحل الأخلاق المنحط الذي يكره الله وشعبه المختار. ويشعر الإنجيليون أنهم بوقوفهم إلى جانب إسرائيل إنما يقفون إلى جانب الله وهو أمر هم على استعداد للقيام به ولو واجهوا العالم كله. لذا كتب (جون هاغي) راعي الأبرشية الإنجيلية في سان أنطونيو، ولاية تكساس، قائلاً: إذا تحركت إيران لضرب دولة إسرائيل، فإن على الأمريكيين أن يكونوا على استعداد لوقف مسار هذا العدو الشيطاني.وكتب هاغي شارحاً أن سياسة الله تجاه الشعب اليهودي نجدها في سفر التكوين 12:3، وتابع شارحاً في فقرة كاملة عن المباركة واللعنة في كتابه (أمريكا على مفترق الطرق) محذراً: "هل سنؤمن ونعتقد بكلمة الله المتعلقة بالاهتمام بإسرائيل، أم أننا سنتابع المراوغة والتعاطف مع أعداء الشعب الإسرائيلي؟".

إن عودة اليهود إلى الأراضي المقدسة، والانتصارات المهمة على الجيوش العربية التي تفوقهم عدداً، إضافة إلى ازدياد موجة الحقد والتهديد ضد اليهود في إسرائيل وسائر أنحاء العالم، لم يقوِّ التزام الإنجيليين نحو إسرائيل فحسب، بل ساهم أيضاً بتقوية موقف التيار الإنجيلي ودوره في الحياة الأمريكية. ومع تركيز سياسة الولايات المتحدة حالياً على موضوع التصدي للهجمات الإرهابية، ومع تلويح أعداء المسيحية باستخدام أسلحة الدمار الشامل مدفوعين بعدائهم لإسرائيل، فقد تعززت ادعاءات الإنجيليين الدينية

إن المسيحيين الليبراليين في الولايات المتحدة هم مثل العلمانيين الليبراليين، إذ طالما كانوا تقليدياً من الداعمين للصهيونية، ولكن من وجهة نظر مختلفة. بالنسبة للمسيحيين الليبراليين، اليهود هم شعب كأي شعب آخر، لذا فقد دعم الليبراليون الصهيونية بنفس الطريقة والتوجه التي دعموا فيها حركات التحرر الوطنية الأخرى. وفي العقود الأخيرة، وعلى نفس القاعدة والتوجه، ازداد تعاطف المسيحيين الليبراليين مع الحركة الوطنية الفلسطينية. في عام 2004، قامت الكنيسة المشيخية، بتمرير قرار يدعو إلى الحد من التعامل وبشكل محدود مع الشركات التي تتعامل مع إسرائيل، (وقد ألغي هذا القرار عام 2006 بعد مواجهة مريرة). وتبين إحدى الدراسات أن 37% من المواقف التي أصدرها التيار الرئيسي للكنائس البروتستانتية حول انتهاكات حقوق الإنسان بين عامي 2000 - 2004 ركزت بشكل خاص على إسرائيل، ولم تتعرض أية دولة أخرى لهذا الكم من الانتقادات.

أصحاب نظريات المؤامرات والمفكرين العلمانيين والصحافيين في الولايات المتحدة وفي العالم، ينظرون إلى نظرية المؤامرة اليهودية، وبشكل أكثر تشدداً، على ما يسمى (اللوبي اليهودي) لفهم وشرح كيف أن

الدعم الأمريكي لإسرائيل يزداد وينمو في حين أن التعاطف مع إسرائيل يضعف في إطار المؤسسات الفكرية والدينية مقابل خسارة المسيحيين الليبراليين والمفكرين العلمانيين لهذه الساحة، وهذا ما لا يلام عليه اليهود.

اليقظة الجديدة الكبرى

إن الحركة الإنجيلية في الولايات المتحدة لم تأخذ دورها كاملاً بعد، وبالنسبة للعلمانيين والليبراليين في الولايات المتحدة والعالم يعتبر هذا تصوراً مزعجاً. وربما تؤدي القراءة المتفائلة إلى رد فعل مناسب أكثر مما يؤدي إليه الخوف والقلق. إن التيارات الدينية في الولايات المتحدة متعددة جداًن ومن الصعب أن يستطيع تيار واحد أن يسيطر، كما أن ازدياد نمو المجتمعات غير المسيحية في الولايات المتحدة مثل اليهود، المسلمين، البوذيين، الهندوس، وفوق كل هذا تيار العلمانيين بالإضافة إلى العلمانيين، سوف يحدّ أيضاً من قدرة أي من المجموعات الدينية على فرض قيمها ومبادئها على طول البلاد وعرضها.

بشكلٍ عام، يسعى الإنجيليون في الولايات المتحدة، إلى الحفاظ على قوة إيمانهم الشخصي وهويتهم الإنجيلية المسيحية، فيما ينخرطون في علاقاتهم مع مختلف التيارات والتوجهات الدينية الأخرى. يتعاون الإنجيليون مع الكاثوليك في محاربة الإجهاض، ومع التيارين اليهوديين الديني والعلماني في تقديم الدعم لإسرائيل. وبإمكانهم اليوم الانطلاق للتواصل والتعاون مع العالم الإسلامي أيضاً، ذلك أن التواصل الوحيد والأساسي بين الولايات المتحدة وسكان الشرق الأوسط حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان من خلال الحملات التبشيرية التي أسست المدارس والمستشفيات. لقد حافظ الإنجيليون وأداروا بنجاح ما يقارب القرن من الزمن العلاقة الوثيقة والمثمرة من التعاون مع المسلمين في العالم العربي. إن كلا الطرفين، المسلمين والإنجيليين، مهتم بمشكلة الفقر التي يعاني منها العالم وكذلك المشال التي تعاني منها أفريقيا. إن كلا الجانبين يعارض هيمنة الأفكار العلمانية على القضايا العامة والدولية. وكلا الطرفين يؤمن بأن الرموز والمبادئ الدينية يجب التعامل معها باحترام في وسائل الإعلام. وكلاهما يرفض العلاقات الجنسية الإباحية. إن الإسلام والمسيحية الإنجيلية ديمقراطيان لا يخضعان لكهنوت ديني. قد لا يتفق المسلمون والإنجيليون على كل شيء، وقد لا يعجب العلمانيون ما قد يتفق عليه الجانبين، ولكن احتضان ورعاية حوار إسلامي – إنجيلي قد يكون من أفضل السبل وأفعلها لإحباط خطر التهديد باندلاع صراع بين الحضارات.

يجب أن يتذكر المراقبون المتوترون أيضاً أن النظريات اللاهوتية الإنجيلية قد لا تنتج بالضرورة أو تؤدي إلى مثل السياسات التي اتبعها الرئيس الأمريكي جاكسون في القرن التاسع عشر أو إلى سياسات خارجية كتلك التي اتبعها حزب الشعب الأمريكي في القرن نفسه. إن عملية النقاش والحوار المتواصل والمصالح المشتركة، قد تؤدي في العديد من الحالات إلى تخفيض وردم الهوة بين الإنجيليين وسائر القوى الأخرى في العديد من القضايا والمواضيع. إن القلق من أن تؤدي سياسات الإنجيليين إلى تقوقع الولايات المتحدة

وانعزالها خلف مواقف متطرفة وغير مرنة هو سراب. إن العمل مع قادة الفكر الإنجيلي لتطوير أرضية وقواعد فكرية دينية للتعامل مع الحقوق الفلسطينية، على سبيل المثال، سوف يوسع دائرة التفكير والفكر الإيجابي بهذا الشأن وليس العداء لسياسات الولايات المتحدة تجاه إسرائيل.

بموازاة ذلك فإن انخراط ومشاركة الإنجيليين بشكل أوسع في تشكيل ورسم السياسة الخارجية قد يقود إلى مفاجآت وإلى بعض التطورات المشجعة. لقد وقعت مؤخراً مجموعة من قادة الإنجيليين المحافظين وثيقة حول التغير المناخي وتعترف بأن هناك مشكلة حقيقية، وأن النشاط الإنساني هو من العوامل الأساسية المسببة لهذه المشكلة، وأن عدم التحرك لحلها قد يؤدي إلى كلفة عالية ستؤثر بشكل خاص على الفقراء، وأن المسيحيين يتحملون مسؤولية أخلاقية في التصدي لهذه المشكلة ومعالجتها. وفي الوقت نفسه يتصدى الإنجيليون لمشكلة العنف في السودان ويسعون لوقف غارات العبودية ضد المسيحيين في الجنوب السوداني، وقد بدأ الإنجيليون حملة لتوسيع عمل التحالف الدولي لحماية المسلمين في منطقة دارفور السودانية.

ومن الأرجح أن يركز الإنجيليون على تميز الولايات المتحدة أكثر من الليبراليين، كما أنه من المرجح أن يهتموا أكثر من الواقعيين بأخلاقيات السياسة الخارجية الأمريكية. ولكن القوة الإنجيلية سوف تبقى في السلطة في المستقبل المنظور وعلى الذين والقلقين على السياسة الخارجية للولايات المتحدة عمل ما يمكنهم للوصول إلى أهدافهم. وفي الوقت الذي يتزايد فيه عدد القادة الإنجيليين الذين يكتسبون الخبرة في التعاطي مع الشأن السياسي الخارجي، من المرجح أن يقدموا شيئاً جديداً نفتقده بقوة في عالم السياسة الخارجية الأمريكية، مجموعة موثوقة من الخبراء المتمرسين أصحاب الخبرة يعالجون بدقة معضلات ومشاكل العالم الدولية وقادرون على إقناع عدد كبير من الأمريكيين بدعم السياسات والمبادرات والمبادرات المضادة المعقدة الضرورية في بعض الأحيان في هذا العالم المحبط والشرير، أو المتساقط إذا جاز التعبير.